



جامعة تلمسان



كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

السنة الجامعة : 2021 – 2022

قسم علم الآثار

التخصص: الآثار الإسلامية

المستوى : ماستر 1 السداسي : الأول

عنوان المقياس: العمارة في المشرق الإسلامي

أستاذ المادة : أ.د بلحاج معروف

Email:archeomarouf@gmail.com

عنوان الدرس: عمارة البيماريستانات

البيمارستانات في المشرق  
الإسلامي

## مقدمة

ومن المظاهر الحضارية التي اعتنى بها المسلمون الاهتمام بالطب والتداوي، فلم يكن المسلمون في ميادين الطب والصيدلة مجرد ناقلين ومقلدين لخبرات الأمم الأخرى في هذا المجال، بل ترجموا ونقلوا وجربوا وهذبوا وابتكروا، وأقاموا معارفهم في ميادين الطب والعلاج على تجاربهم وملاحظاتهم، فصاروا متميزين في هذه العلوم، وكان يأتيهم كثير من أهل البلاد المختلفة للتعلم وتلقي العلاج، وطوّرَ علماء المسلمين نظريات وآراء من سبقهم في الطب والعلاجات، وأضافوا إليها كثيرًا من اكتشافاتهم، ولم يكن الطب عندهم عبارة عن أوهام وخرافات، كما كان عند غيرهم في مجتمعات أخرى.

# مفهوم الـبـيـمارـسـتـان

أطلق على المؤسسة الاستشفائية في العهود الإسلامية المختلفة اسم الـبـيـمارـسـتـان، فماذا يعني هذا اللفظ؟ إن هذه الكلمة تعود إلى اللغة الفارسية وتتشكل من مقطعين "بـيـمار" ومعناه المريض، و"سـتـان" ومعناه المكان أو الدار ومن هنا يمكن القول أن لفظ بـيـمارسـتـان يعني دار المريض، وقد اختصرها بعض الكتاب بكلمة "مارستان" مثل ما جاء في الصحاح للجوهري.

كانت هذه المستشفيات منذ نشأتها تؤدي وظيفة العلاج، حيث تعالج فيها كل الأمراض الطبية، وتجرى فيها الجراحة، وتداوى الأمراض العقلية، ومع مرور الزمن هجرت هذه المؤسسات العلاجية، ولم يبق فيها سوى المصابين بالمرض العقلي فصارت كلمة مارستان تعني دار المجانين.

## نشأة البيمارستان عند المسلمين

لم يخصص المسلمون في بداية ظهورهم أماكن للعلاج إلا ما ورد في السيرة النبوية عن تلك الخيمة التي نصبها الرسول صلى الله عليه وسلم في مسجده لمعالجة مرضى المسلمين في غزوة الخندق، وكان أول معرفة للمسلمين لمثل هذه المنشآت المعمارية الخاصة لهذا الغرض عند فتحهم لمدينة جنديسابور ببلاد فارس، حيث كان البيمارستان ناشطاً وبقي كذلك حتى عهد أبي جعفر المنصور.

يذكر المقرئ أن الوليد بن عبد الملك كان أول من أنشأ سنة 88هـ داراً للشفاء، فأسكن فيها العميان وحبس فيها المجذوبين لانتقاء تنقل العدوى إلى عامة الناس، وأجرى عليهم الأرزاق، ولعل تصميمه كان على غرار مخطط بيمارستان جنديسابور.

## البيمارستان في العهد العباسي

اعتنى العباسيون كثيرا بصحة العامة، فبعدما سيطروا على الخلافة قام بعض خلفائهم بتشديد المؤسسات التي تعنى بالمريض وعلاجه ويستفيد منها كل فئات المجتمع فتشير المصادر إلى قيام أبي جعفر المنصور ببناء دار للعميان، كما خصص مكانا للمجانين، وقد اهتم هارون الرشيد أيضا ببناء البيماريستانات حيث بنا دارا كبيرة للشفاء في بغداد وألحق بها مكتبة ، وذلك على غرار بيمارستانات الفارسية، وأنشأ المعتصم بالله بيمارستانا آخر سمي بـ"الصاعدي" في بغداد أوكل بنيائه إلر أبي بكر الرازي وبنا المستنصر بالله بيمارستانا في مكة بالجانب الشمالي من المسجد الحرام، ويعود له الفضل في إنشاء بيمارستان بالمدرسة المستنصرية

## البيمارستان في العهد السلجوقي

اهتم السلاجقة بالطب ومؤسساته أيما اهتمام فشيّدوا مدارس خاصة لتعليم الطب وبجوارها المستشفى ومن الأمثلة المجمع المعماري المسمى "المدرسة المزدوجة" الذي ابتناه السلطان غياث الدين كيخسرو الأول وأخته نسبية جوهر سنة 602هـ/1205م في قيصرية ويتكون من مدرسة لتعليم الطب والمستشفى ويتصل المبنى ببعضهما عن طريق ممر، وتكمن أهمية هذا المجمع إلى ظأنه يضم أقدم مستشفى في بلاد الأناضول.

وبعد سنوات قليلة أنشأ السلطان السلجوقي عز الدين كيكاووس الأول سنة 614هـ/1218م أضخم المستشفيات (68×48م<sup>2</sup>) بسيواس، ويعد المبنى من النماذج العالية المستوى من الناحية الفنية، حيث استخدم فيه الأجر المزجج والخزف معا، وبما يحتويه من كتابات كوفية رائعة الجمال.

# البيمارستان عند الزنكيين والأيوبيين

انتشرت البيمرستانات في العصر الزنكي وربما كانت الحروب الصليبية العامل الرئيسي في توجه الحكام في هذه الفترة على الاعتناء بالمرضى، لاسيما في عهد نورالدين محمود بن زنكي الذي بنا سنة 549هـ/1154م بيمارستانا كبيرا في دمشق سماه "النورية" يدرس فيه الطب إلى جانب مداواة المرضى، كما أنشأ أيضا في منتصف القرن 12م بيمارستان النوري بحلب بالقرب من باب أنطاكية.

على نفس المنوال اتبع صلاح الدين الأيوبي نهج الزنكيين فأقام في سنة 577هـ/1181م بالقاهرة بيمارستان الصلاحي أو الناصري على أنقاض القصر الفاطمي، كما أمر صلاح الدين بهاء الدين بن شداد القاضي أن يتولى أمر بناء بيمارستان القدس.

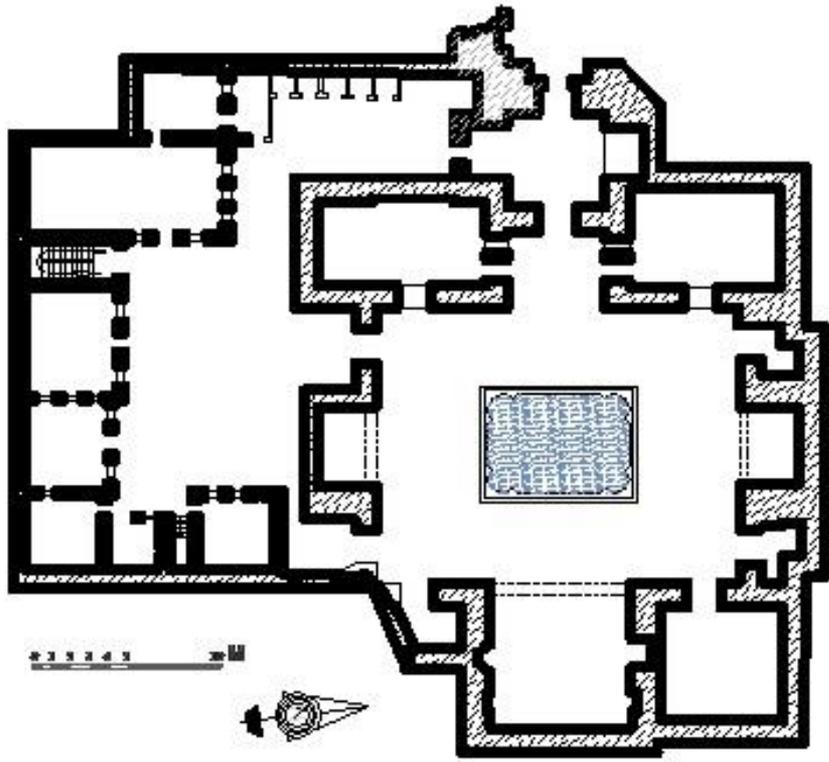
كما أنشئ بدمشق البيمارستان القيمري أو المعروف ببيمارستان الصالحية في نهاية العصر الأيوبي وأوقف من قبل الأمير الأيوبي سيف الدين أبو الحسن القيمري الكندي، الذي توفي سنة 653هـ ودفن بالسفح في قبته بجوار البيمارستان.

# البيمارستان في المغرب

على غرار مثيلاتها في الشرق أنشئت في المغرب عدة بيمارستانات، وجعلت لها أوقاف تقوم بمهامها أحسن قيام، ويعتبر مستشفى مراكش أهمها وأكثرها شهرة لما حظي به من عناية و إتقان في التشييد والبناء والتنظيم والإدارة و السبق، حيث أسسه الخليفة الموحد أبو يوسف يعقوب المنصور (580-595 هـ)، وهو ما عرف آنئذ باسم بيمارستان مراكش وأعطيت له العناية والأولوية والاهتمام.

وحول بيمارستان فاس ذكر عبد الهادي التازي أنه كان للسلطان أبي الحسن المريني فضل في تجديد المارستان في مدينة فاس، واقتفى أثره ابنه السلطان أبو عنان المريني في العناية به والتحبس عليه. وكان يطلق عليه اسم : مارستان «سيدي فرج» أسس في القرن السابع الهجري، واستمر العمل به إلى غاية القرن العشرين الميلادي، وكان يعتني بصحة الإنسان والحيوان والطيور، وخصّصت به أوقاف لعلاج الطيور على من يضمدها ويداويها ويطعمها، كما رُصدت أوقاف للموسيقيين الذين يعزفون للمرضى كل أسبوع ليخففوا عنهم آلامهم، ويُنفق من هذه الأوقاف على ما يتطلبه غسل الموتى الغرباء وتكفينهم وإقبارهم.

نماذج من البيمارستان  
في المشرق الإسلامي



بیمارستان النوري  
بدمشق سنة  
549هـ/1154م



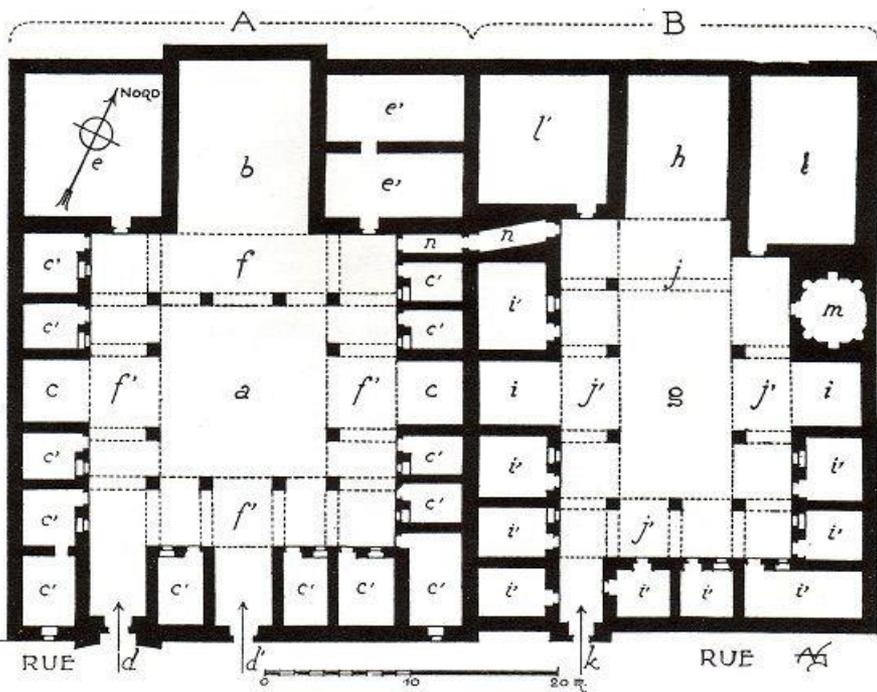
## بیمارستان النوری بدمشق

يقع في شارع جانبي من سوق الحميدية، ويمكن التعرف عليه بسهولة من قبله المقرنصة الحمراء من الأجر على الطراز الرافدي، والمزودة بالزجاج الغامق، كما يعرف بمدخله الراقى، وبابه الخشبي، والتوازن الكامل في مخططه ذي الأواوين الأربعة المتناظر محورياً.

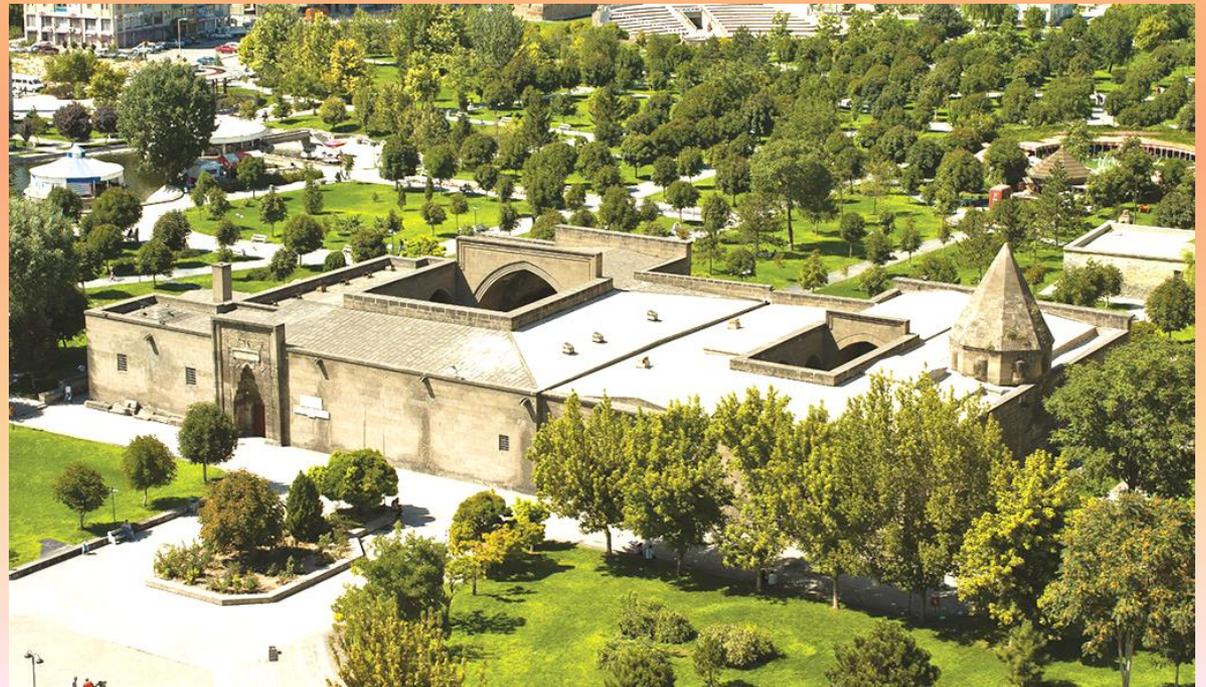
يتم الدخول إلى بیمارستان عبر مدخل تعلوه تركيبة من المقرنصات قليلة العمق على نحو غير مألوف، ويعتبر الباب نموذجاً هاماً لأعمال الخشب والتطعيم في هذه الفترة، وقد تم تسجيل هوية مصمم الباب في التاريخ على أنه أبو الفضل محمد بن عبد الكريم الحارثي، المعروف بالمهندس. وقد أظهر أبو الفضل، الطبيب في بیمارستان، والحرفي الذي أبدع الباب، تنوع الخبرة التي كان يتمتع بها العلماء في هذه الفترة.

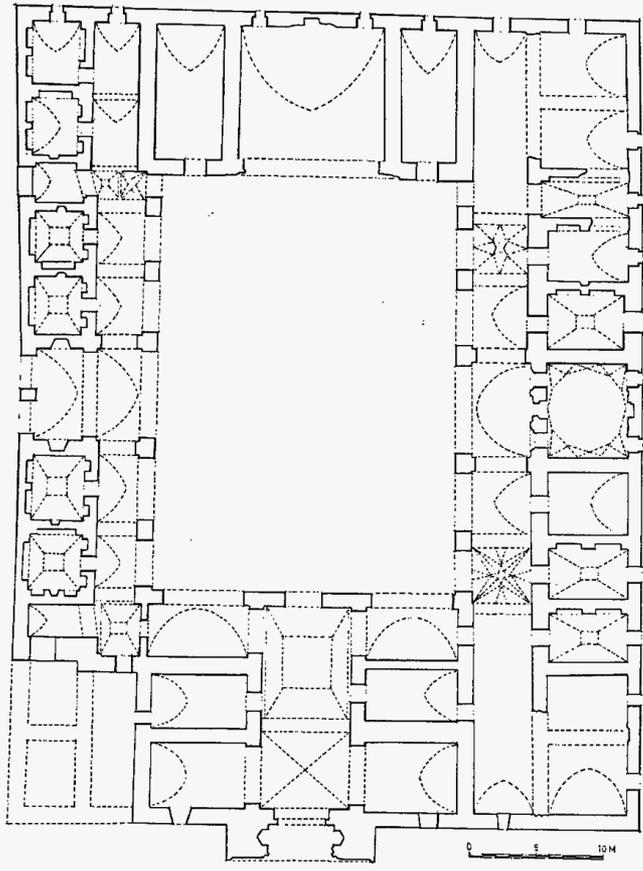
## بیمارستان النوري بدمشق

يتألف من مدخل رئيسي على الشارع يؤدي إلى فسحة سماوية تتوسطها بحرة مستطيلة الشكل في زواياها حنايا. له ثلاثة أواوين؛ اثنان صغيران شمالي وجنوبي وشرقي كبير، وعلى جوانب هذه الأواوين توجد قاعات حالياً (قاعة الطب وقاعة العلوم وقاعة الصيدلة والمكتبة والديوان وقاعة الطيور المحنطة وهي القاعة الوحيدة المأخوذة للمتحف من البناء الحديث). وقد بني بیمارستان على مرحلتين: فأما الأولى فتضم ما سبق وأما المرحلة الثانية فبني فيها قسم حديث حين وسعه الطبيب بدر الدين ابن قاضي بعلبك له فسحة خاصة به مع ست غرف وطابق ثان وهو حالياً مقر لدائرة آثار دمشق القديمة.



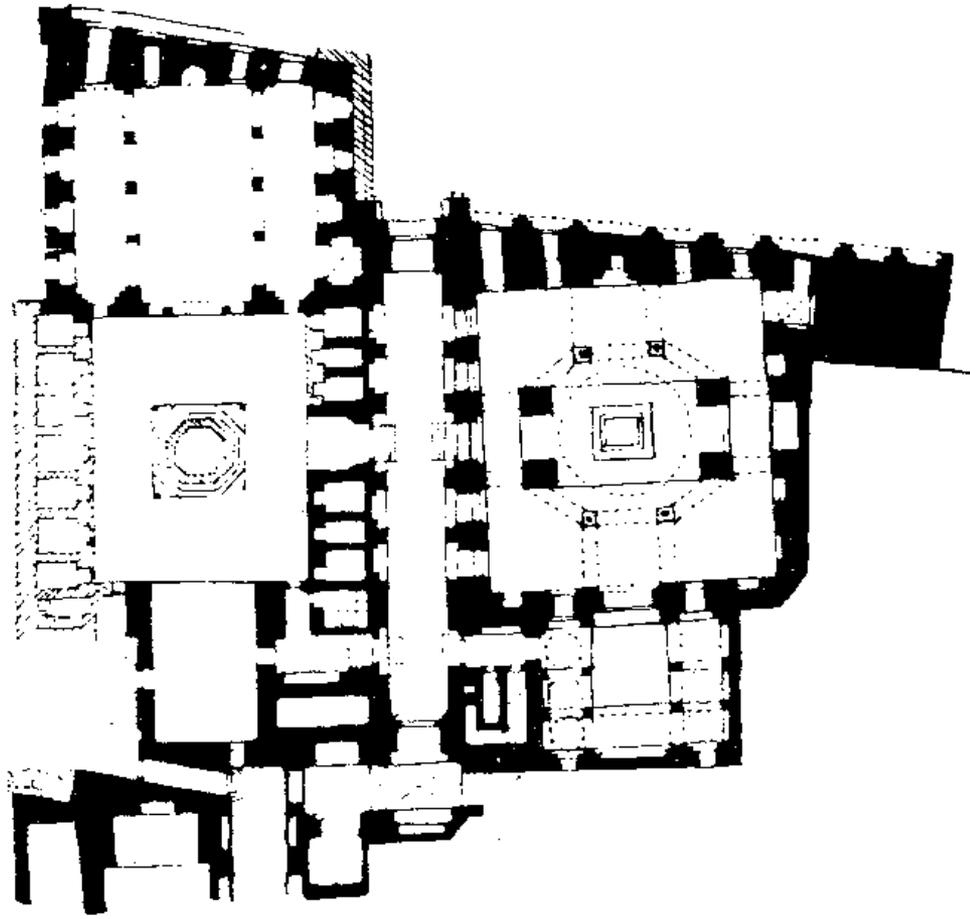
المدرسة التوأمية  
بقيصرية 602هـ/1205





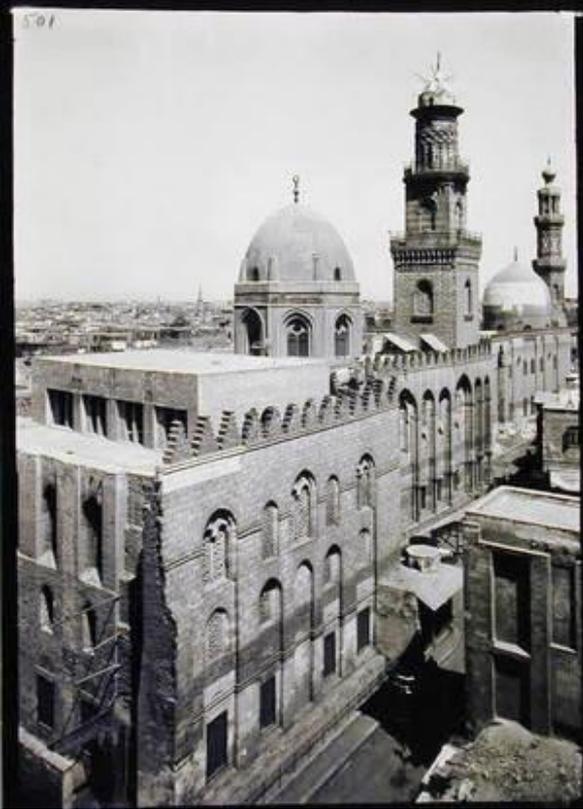
بیمارستان کیکاووس الأول  
السلجوقي سنة 614 هـ/  
1217 – 1218م مدينة  
سيواس التركية

يعد هذا المبنى من أضخم البيمارستانات السلجوقية، ويتكون من صحن مستطيل يحيط به رواق من ثلاث جهات، باستثناء جهة القبلة، ويرتفع في كل جانب من جوانبه إيوان وتنفّح الحجرات طات المدفئات نحو الرواق، وقد قان بأعمال الزخرفة أحمد المرندي

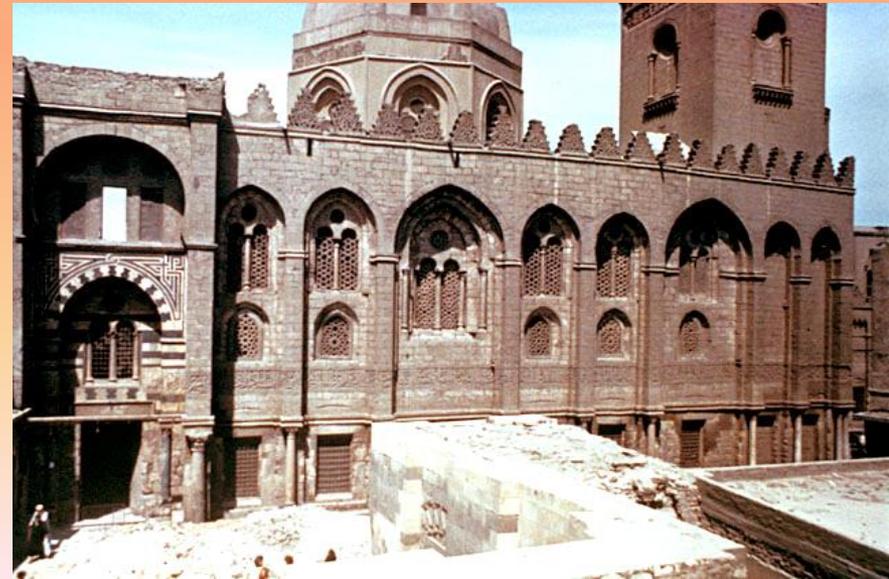


مخطط بيمارستان قلاوون  
تأسست 683 – 684 هـ / 1283 –  
1291م يقع في شارع النعز لدين الله  
(بين القصرين)

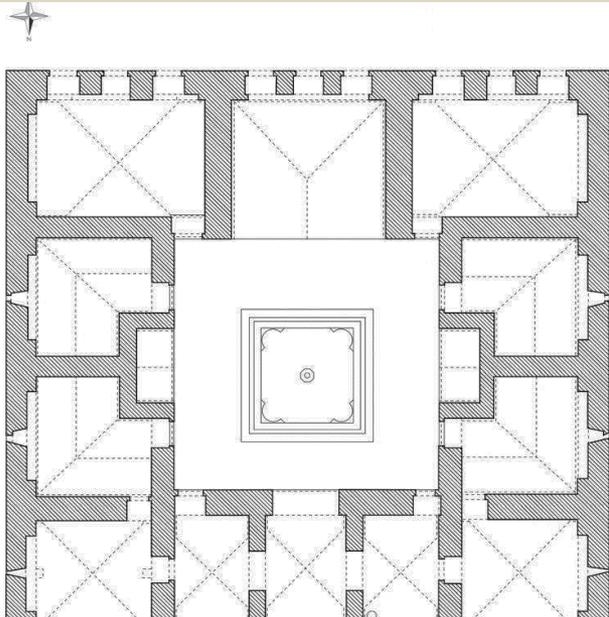
يحيط بصحن المستشفى أربعة أواوين، في كل واحد منها سلسبيل تصل مياهها إلى فسقية بوسط الصحن.  
كان البيمارستان يضم أربعة أقسام للحميات والرمم والجراحة والنساء.  
لم يبق من المارستان سوى أطلال من الإيوانين الكبيرين



## مجموعة قلاوون بالقاهرة (المدرسة والضريح والبيمارستان)



أنشأ البيمارستان الأمير سيف الدين أبو الحسن علي ابن يوسف بن أبي الفوارس القيماري الكردي (المتوفى سنة 653هـ 1255م) وبدأ بناءه سنة 654هـ، حسب ما ورد في نقش وجد بداخله، واكتمل سنة 656هـ، ويعد البيمارستان القيمري من العمائر التاريخية التي ترجع إلى أواخر العصر الأيوبي في سوريا. ومن أعظم آثار دمشق شأنًا، ومن أجمل العمارات الأثرية من ناحية التصميم والزخرفة الجميلة، فمدخل البيمارستان مبني بالكامل بطريقة الأبلق، أي تتأوب المداميك الملونة، وله عقد مزخرف، وحجارة الواجهة مربعة الشكل، بينما الحجارة المكونة للعقد منحنية الشكل، ويتوج البوابة مقرنص فخم، وقد نقشت صيغة الوقف على أسطر عريضة بالخط النسخي الجميل على مدخل الباب الرئيسي.



**بيمارستان  
القيمري بدمشق**

## بیمارستان القیمري بدمشق

یتألف البیمارستان من صحن أوسط مكشوف تتوسطه بركة یأتيها الماء من ناعورة على نهر یزید وفي وسط كل ضلع من أضلاع الصحن الأربعة إيوان على جانبه بابان یؤدیان إلى وحدات معمارية أخرى، إضافة إلى وحدتين معماريتين بكل من الركنين الطرفيين الشرقي والغربي للجانب الشمالي للبیمارستان وفي الضلع الجنوبي يقع الإیوان الرئيسي وعلى جانبه القاعتان الواسعتان ويتوسط الضلع الشمالي إيوان أصغر من الإیوان الجنوبي وفي صدره باب یتصل بالمدخل الرئيسي للبیمارستان.

ویوجد في الركن الشمالي الشرقي مطبخ كبير كان يعد فيه الطعام للمرضى وفيه قاعة للأمراض العقلية والنفسية.

وتتميز الواجهة الخارجية وهي الشمالية بمدخلها المقرنص ونصّ التأسيس المنقوش عليها، إضافة إلى وجود نص يشمل أوقات البیمارستان ویحدد النص الوجوه التي تصرف فيها أوقاف البیمارستان وهي وظيفة الطبيب المشرف على شؤون البیمارستان، والكحال من یقوم بخدمة النساء المرضى، والمعمار المشرف على عمارته وما یزید یصرف على فكاك الأسرى.



بیمارستان القیمري  
بدمشق  
656هـ

## نظام المؤسسات الاستشفائية

ومن مظاهر التنظيم الطبي المذهل: وجود بيت للأشربة والمعاجين الطبية تصنع وتحفظ به الأدوية على الدوام، ليتزود بها المحتاجون إليها.

كان الإشراف الإداري العام على البيمارستان مرتبطاً بناظر يشرف على إدارة الأموال والأوقاف المخصصة له، وعلى سلامة مبانيه وحسن سير العمل فيه. وكانت هذه الوظيفة، بالنسبة للبيمارستانات الكبيرة في العواصم، من الوظائف الديوانية العالية في الدولة. وكان في كل بيمارستان عدد من الأطباء يعملون تحت إشراف رئيس الأطباء. كما كان فيه رؤساء أقسام، فكان هنالك رئيس للكحاليين، ورئيس للجراحين، وهو يرأس الجراحين والمجبرين، أما أطباء الأمراض الداخلية فكان يطلق عليهم اسم الطبائعيين

## مهام المؤسسات الاستشفائية

ولم تكن مهمة البيمارستانات قاصرة على مداواة المرضى فحسب، بل كانت في الوقت نفسه دُورًا للرعاية الاجتماعية، ومعاهد علمية لتعليم الطب والصيدلة، حيث تُلقى فيها الدروس النظرية إلى جانب التطبيقات العملية، إضافة إلى أنّ هذه البيمارستانات في ذلك العصر كانت منظمةً تنظيمًا مثاليًا من جميع النواحي المتصلة بها، سواء من ناحية اختيار الموقع والتصميم والبناء والتمويل وإدارة، أو من ناحية أنظمتها العلاجية والإدارية والمالية.

وتطورت هذه البيمارستانات حتى أصبحت مؤسسات طبية، وجامعات ومراكز تعليمية في آن واحد تُلقى فيها الدروس العلمية والنظرية إلى جانب دورها الأساس التي قامت من أجله ألا وهو العلاج والمداواة.